الدرس الخامس:

**مضامين شعر الشيعة**

**تعريف الشيعة لغة واصطلاحا:**

قال ابن منظور (المتوفى سنة 711ه‍): "والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة.

والشيعة: قوم يرون رأي غيرهم، وتشايع القوم صاروا شيعاً، وشيّع الرجل إذا ادعى دعوى الشّيعة، وشايعه شياعاً وشيّعه تابعه، ويقال: فلان يشايعه على ذلك أي: يقويه" [لسان العرب: مادة: شيع].

فالشيعة ، والتشيع ، والمشايعة في اللغة تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، ثم غلب هذا الاسم - كما يقوله صاحب اللسان، والقاموس، وتاج العروس - على كل من يتولى علياً وأهل بيته. وهذه الغلبة.. محل نظر؛ لأنه إذا تأمل الباحث في المعنى اللغوي للشيعة والذي يدل على المتابعة، والمناصرة، ثم نظر إلى أكثر فرق الشيعة التي غلب إطلاق هذا الاسم عليها يجد أنه لا يصح تسميتها بالشيعة من الناحية اللغوية؛ لأنها غير متابعة لأهل البيت على الحقيقة بل هي مخالفة لهم ومجافية لطريقتهم..

**شعراء الشيعة وموضوعاتهم:**

إنّ الأدب الديني الشيعي فرض نفسه على المكتبة الإسلاميّة، وما ينطوي عليه من وقائع ومواقف، ومشاهد وآراء، شكّلت فصلاً كبيراً من تاريخ الأدب العربي والإسلامي. وقد عكف على دراسته وجمعه وتحليله كثيرٌ من المؤرّخين والأدباء والمفكّرين، لتكتمل لديهم الصور التاريخيّة والأدبيّة والفكرية عند الشيعة، وتُعرَف من خلال أدبهم وقصائدهم آراؤُهم وعقائدهم ومواقفهم من الآخرين.

ومن أهم موضوعات شعراء الشيعة:

**- مدح آل البيت:**

كما قال حُجْر بن عَدِيّ مادحا أهل البيت النبوي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أماطَ اللهُ عنهم كلَّ رِجْسٍ |  | وطهّرَهم بذلك في المثاني |
| فما لهمُ سِواهُم مِن نظيرٍ |  | ولاكُفؤٌ هنـاك ولا مُوالي |

**- نصرة آل البيت والجهاد معهم:**

وهذا الشاعر الطِّرِمّاح، يقصد كربلاء على ظهر ناقته، حاثا إيّاها على الجد في المسير، وتحمّل عناء السفر، لأنّ الأمر جلل، وهو لزوم اللحاق بالركب الحسيني المحارب، ونيل الشهادة بين يدي إمامه أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه، ويقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا ناقتي لا تجزعي مِن زَجْرِ |  | وامضي بنا قبلَ طلوعِ الفجرِ |
| بخير فتيـانٍ وخَيـرِ سَفْـرِ |  | آلِ رسـول الله آل الفَخْــرِ |

**- رثاء شهدائهم:**

رثت الرّباب زوجها الإمام الحسين بعد استشهاده في معركة كربلاء، بقصيدة أوردها ياقوت الحموي، صاحب معجم البلدان، تقول فيها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| واحُسيناً! فلا عُدِمتُ حسيناً |  | أقصَدَتْـه أسنّـةُ الأعـداءِ |
| غادروه بكربلاءَ صريعـاً |  | لا سَقَى اللهُ جانبَي كربلاءِ |

وأورد لها صاحب كتاب الأغاني مقطوعة شعرية ترثي فيها زوجها الحسين رضي الله عنه، متفجعة على قتله، معدّدة مناقبه وفضائله، تقول فيها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ الذي كان نوراً يُستضاءُ بهِ |  | بكربلاءَ قتيـلٌ غيـرُ مدفـونِ |
| سبطَ النبيّ جَزاك اللهُ صالحـةً |  | عنّا، وجُنِّبتَ خُسرانَ المـوازينِ |
| قد كنتَ لي جبلاً صعباً ألوذُ بهِ |  | وكنتَ تَصحَبُنا بالرَّحْمِ والدِّيـنِ |
| مَن لليتامى، ومَن للسائلينَ ومَن |  | يعنو ويأوي إليه كلُّ مسكينِ ؟! |
| واللهِ لا أبتغي صِهْراً بصهرِكُمُ |  | حتّى أُغيّبَ بينَ الرَّملِ والطينِ |

**-الإيمان بالأئمة الاثني عشر وتفردهم بالولاية:**  
  
 قال عبدالله بن همام السَّلُولي متحذثا عن مناقب آل البيت، ويخصص عليا بن أبي طالب - رضي الله عنه- لما حباه الله من شرف ومكانة، ثم يقول أن كل شيئ سيفنى وينقطع إلا ما كان من آل البيت وأئمتهم الاثني عشر، الذين يتولون الخلافة وإمامة الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لِيعلمِ المرءُ ذو العِزِّ المنيعِ ومَن |  | يرجو الخلـودَ وما حَيٌّ بمَخلُودِ |
| لو أنّ حيّاً ينال الخُلدَ في مُهَـلٍ |  | لنـالَ ذاك سليمـانُ بـنُ داودِ |

إلى أن تقول بقيةُ الأبيات:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هذا لِيُعلَـمَ أنّ المُلـكَ منقطـعٌ |  | إلاّ مِن اللهِ ذي النعماءِ والجُـودِ |
| حتّى إذا ولَدَت عدنانُ صاحبَهـا |  | مِن هاشمٍ كان منها خيرُ مَولـودِ |
| وخصّـه اللهُ بالآيـاتِ مُنبعِثـاً |  | إلى الخليقة منها البيضِ والسُّـودِ |
| له مقاليـدُ أهلِ الأرضِ قاطبـةً |  | والأوصيـاءُ له أهـلُ المقاليـدِ |
| همُ الخلائفُ إثنا عشرةٍ حُجَجـاً |  | مِن بعدِه الأوصياء السادة الصِّيدِ |
| حتّى يقـومَ بأمـرِ الله قائمُهـم |  | مِن السماء إذا ما بِآسمِه نُـودِي |

**-الشكوى من المطاردة والتشريد:**

نذكر أبياتا لعبد الله العبلي، الذي كان يظهر تشيعه أيام الأموييـن، ولكنه في عهد المنصـور العباسي خاف البطش والمطاردة، فقال، واصفا حاله وإصراره على حب عليّ إلى آخر رمق له في الحياة:( الأغاني للأصفهاني: 11/283)

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شَرَّدوني عنِ امتداحي عليّـا |  | ورأَوا ذاك فـيّ داءً دَويّــا |
| فَوَربّي لا أبرَحُ الدهرَ حتّـى |  | تختلي مهجتي بحبّـي عليّـا |
| وبَنيـهِ لحـبِّ أحمـدَ، إنّـي |  | كنتُ أحبَبتُهـم بحبّـي النبيّا |
| حُبَّ دِينٍ لا حبَّ دنيا وشرُّ ال |  | حُبِّ حـبٌّ يكـون دُنياويّـا |
| صاغَني اللهُ في الذُّؤابةِ منهم |  | لا زَنيماً، ولا سَنيـداً دَعيّـا |

**-المبالغة في تمجيد الإمام عليّ:**

يصل تمجيد الشيعة للإمام عليّ -كرم الله وجهه- إلى حدّ التأليه أو الشرك، لما يلبسونه من صفات تتنافى والدين الإسلامي الحنيف، يعزّ علينا ذكرها لتقديرنا للإمام علي رضي الله عنه، الموحّد الزاهد الورع، المتتبع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن نتخير بعض الشعر الذي نلحظ فيه بعض الغلو على سبيل التمثيل لا الحصر، وقد ذكرت بعض مصادر الشيعة، ككتاب أعيان الشيعة، أبياتا لأبي نواس يمدح فيها عليا، معتبرين إياه شاعرا متشيّعا، قال فيها:

|  |  |
| --- | --- |
| إذا أبصرتك العين من غير ريبة | وعارض فيك الشك أبصرَك القلبُ |
| ولو أنّ قوماً أمَّموك لقادهم | نسيمُك حتى يَستَدِلَّ بك الرّكبُ |
| جعلتُك حسبي في أموري كلِّها | وما خاب من أضحى وأنت له حسْبُ |

وذُكرت لأبي نؤاس رائية يقول فيها في وصف أهل البيت:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مُطَهّـرونَ نقـيّـاتٌ ثيابُـهُـمُ |  | تجري الصلاةُ عليهم أينما ذُكِروا |
| مَن لم يكن عَلَويّاً حيـنَ تَنسِبُـهُ |  | فما له في قديم الدهـرِ مُفتَخَـرُ |
| واللهُ لَمّـا بـرى خَلْقـاً فأَتْقَنَـهُ |  | صفّاكمُ واصطفاكمُ أيُّها البشـرُ |
| فأنتمُ المـلأُ الأعلـى، وعندكُـمُ |  | علمُ الكتابِ وما جاءت به السُّوَرُ |

**من خصائص شعر الشيعة:**

**1 ـ السياسة الدينية:**

دار شعرهم حول نصرة مذهبهم، فكان وثيق الصلة بتفكيرهم وآلامهم وآمالهم .

- فهم يشيدون بحبهم لآل البيت، ويجدون في هذا الحب سعادة ومثوبة، ولا يزيدهم اللوم إلا تماديا، كما في قول عبدالله بن كثيِّر:

|  |  |
| --- | --- |
| أيُعدُّ ذنبا أن أحبهم | بل حبهم كفارة الذنب |

وفي قول أبي الأسود الدؤلي:

|  |  |
| --- | --- |
| أحبهمُ لحب الله حتى | فإن يك حبهم رشدا أصبه |

- ويتفجعون على موتاهم وقتلاهم، ويرثون أنصارهم، كما نجد في رثاء أبي الأسود الدؤلي للإمام علي، ورثاء عبد الله بن الأحمر للحسين، ورثاء هند بنت زيد لحجر بن عدىّ.

- ويدللون على استحقاق الشيعة للخلافة، بل على أن الخلافة أو الإمامة منهم وحدهم، بأدلة دينية وعقلية.

ولا شك أن الكميت زعيمهم في هذا الضرب من المقال، فهو الذي مهد لشعرائهم طريق المحاجة، وفتح لهم أبوابها، وجهر بما كان يختلج في نفوس كثير من الشيعة، كقوله: 

|  |  |
| --- | --- |
| يقولون: لم يورث ولولا تراثه | ولا نتشلتْ عضوين منه يحابر |

كذلك حملوا علىالزبيريين، مثل حملة كثير عزة على ابن الزبير لما سجن ابن الحنفية بسجن عارم.

**2 ـ غلبة السياسة على شعرهم:**

والطابع الذي يغلب على شعرهم هو الطابع المذهبي، ويتبين هذا في شعرهم السياسي، وفي مدائحهم وأهاجيهم ومراثيهم، ومناجاتهم لله، لأن أكثر هذا المدح والهجاء والرثا يصل بهم إلى غرضهم المنشود، وهو الدفاع عن حق الشيعة المسلوب.

وليس من الصواب أن نحكم على شعرهم كله بأنه سياسي مذهبي، لأن بعض شعرائهم قرضوا الشعر في أغراض أخرى. فالكميت اضطر إلى مدح بني أمية حفاظا على دمه. وأيْمن بن خُرَيْم الأسدي مدح الأمويين، واتصل بعبد الملك بن مروان، وشخص إلى مصر، ومدح واليها عبد العزيز بن مروان، ثم تركه إلى الكوفة حيث مدح واليها بشر بن مروان.

وأما السيد الحميري فقد كان متشيعاً صادقاً في تشيعه، وكان يحب آل البيت حباً فيه إخلاص وفيه سذاجة، ما في ذلك شك، على أنه لم يحد عن تشيعه في العصر العباسي، ولم يستره كله أو بعضه، بل إنه كان يعلن حبه، ويجهر به، ويذيع الدعوة لآل علي. وكان في الوقت نفسه مداحاً لبني العباس، ينال عطاياهم، وينعم بالقرب منهم، ولا يجد في تقريبهم له إنكاراً لتشيعه، أو محاولة لصرفه عنه.

وليس بعسير تعليل ذلك، فإن السيد الحميري كان مخلصاً لآل علي، وكان مخلصاً لآل العباس معاً، لكن إخلاصه للعلويين كان أعمق وأقوى وأشد، كان علوي المذهب أيام بني أمية، وكان يضيق أشد الضيق، ويألم أشد الألم، مما يلقى الشيعة من نكال بني أمية، ويتشوق إلى زوال ملكهم، والقصاص منهم، ويتلهف على أن يرث الشيعة سلطان بني أمية، لأنه حقهم الشرعي المغتصب.  فلما أدال الله من بني أمية، وخلفهم بنو العباس لا بنو علي، أنكر كثير من الشيعة هذا المصير، وانصرفوا عن الدولة الجديدة، وتربصوا بها، وثاروا عليها، ولم ينكر كثير منهم هذا المصير، بل ارتضوه واطمأنوا إليه وأخلصوا له، لأنه حقق ما كانوا يأملون، إذ تقوض صرح بني أمية، وقام صرح بني هاشم.

وقد كان السيد الحميري من هؤلاء الراضين الذين اطمأنوا وأخلصوا لبني العباس، فلم ينقم منهم أنهم استأثروا بالخلافة دون بني علي الذين كان يهواهم، وما زال على هواه إياهم، ولم يبتهج بهم لأنهم غلبوا بني علي على الخلافة، واختصوا بها نفوسهم، بل استبشر بقيام دولتهم، لأنهم من بني هاشم، وقد فازوا على بني أمية، وما علي والعباس إلا فرعان من هاشم، بل فرعان قريبان أشد القرب، وأبناء هذا وأبناء ذاك، يتنازعون في أيهم أعظم قرابة من الرسول عليه الصلاة والسلام، وأيهمأحق بوراثته؟ أعمه العباس، أم ابن عمه وزوج ابنته علي؟ فأيهم غلب على الملك، وفاز على بني أمية كان جديراً بأن يرضى به السيد الحميري، ويخلص له.

**3 ـ حرارة العاطفة:**

شعرهم حار ملتهب، لأنه تعبير عن عواطف قوية صادقة، وتنفيس عن نفوس مهتاجة ثائرة، فهم غضاب ساخطون، لأن بني أمية سلبوهم حقهم، وغصبوهم مكانهم، فصورا غضبهم في شعر حانق على الأمويين. وهم حزناء كثيرو البكاء مما حل بهم من عسف واضطهاد وتنكيل وتقتيل، شديدو الحسرات على حقهم المغصوب، وملكهم المسلوب، لهذا برعوا في تصوير ما نزل بهم من نكبات وأهوال، وبرعوا في الموازنة بين حالهم وهم أصحاب الحق الشرعي، وحال بني أمية وولاتهم وهم غاصبون للحكم، ليستثيروا العزائم إلى الثورة.

وهم يحبون آل البيت أقوى الحب وأصدقه، لا يبتغون من حبهم ماولا جاها ولا عرضا من أعراض الدنيا، وإنمايجدون فيه زلفى إلى الله، وأملا في ثوابه، ويصبرون على ما ينزل بهم من شدائد ومظالم، عقابا لهم على هذا الحب، فلم يزدهم الاضطهادإلا تماديا في حبهم لآل البيت وتشيعاً لهم.

وعن هذا الولاء الخالص صدرت مدائحهم لزعمائهم من آل البيت.

**4ـ ملاء مة الأسلوب للباعث:**

يختلف أسلوبهم باختلاف الباعث؛ فإذا حملوا على بني أمية جاء أسلوبهم قويا مهتاجا، لأنه يصور حنقهم وثورة نفوسهم، كما نجد في حملات الكميت، وفي قصائد عبدالله بن هشام السلولي، وإذا جنحواإلى المحاجة والتدليل على استحقاق الشيعة للخلافة أو التبشير برجعة الإمام، كان أسلوبهم هادئا، كما نجد في شعر الكميت وكثير عزة والسيد الحميري.

وإذا صوروا نكباتهم، وبكوا آلامهم، وتحسروا على حقهم المسلوب، جاء أسلوبهم باكيا حزينا، كما نرى في قصيدة الحارث بن عبدالله الجعدي. وإذا مدحوا آل البيت جاء مدحهم جزلا فخما متدفقا، كقول الكميت:

|  |  |
| --- | --- |
| بل هواي الذي أُجنُّ وأبدي | لبني هاشم فروع الأنام |
| القريبين من ندى والبعيديـ | ن من الجور في عرى الأحكام |
| والمصيبين باب ما أخطأ النا | سومُرسي قواعد الإسلام |
| والحماة الكفاة في الحرب إن | لفَّ ضرام وقوده بضرام |
| والغُيوث الذين إن أمحل الناس | فمأوى حواضن الأيتام |